

انس قلوبهم ولا جان ﴿ كأنهن الياقوت والمرجان ﴾ ﴿ هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ؟ ﴾ قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي . حدثنا نوح بن حبيب ، حدثنا نصر بن مزاحم العطار ، حدثنا عمر بن سعد عن رجل عن أنس رضي الله عنه رفعه نوح قال : لو أن حوراء بزقت في بحر لجي لعذب ذلك الماء لعذوبة ريقها .

وقوله عز وجل : ﴿ يدعون فيها بكل فاكهة آمنين ﴾ أي مهما طلبوا من أنواع الثمار أحضر لهم وهم آمنون من انقطاعه وامتناعه بل يحضر إليهم كلما أرادوا . وقوله ﴿ لا يدوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى ﴾ هذا استثناء يؤكد النفي فإنه استثناء منقطع ، ومعناه أنهم لا يدوقون فيها الموت أبداً كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « يؤتى بالموت في صورة كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار ثم يذبح ثم يقال يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت » وقد تقدم الحديث في سورة مريم عليها الصلاة والسلام . وقال عبد الرزاق : حدثنا سفيان الثوري عن أبي إسحاق عن أبي مسلم الأغر عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا : قال رسول الله ﷺ « يقال لأهل الجنة إن لكم أن تصحوا فلا تستقموا أبداً ، وإن لكم أن تعيشوا فلا تموتوا أبداً ، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً ، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً » رواه مسلم عن إسحاق بن راهويه وعبد بن حميد ، كلاهما عن عبد الرزاق به هكذا يقول أبو إسحاق ، وأهل العراق يقولون أبو مسلم الأغر ، وأهل المدينة يقولون أبو عبد الله الأغر . وقال أبو بكر بن أبي داود السجستاني : حدثنا أحمد بن حفص عن أبيه عن إبراهيم ابن طهمان عن الحجاج هو ابن حجاج عن عبادة عن عبيد الله بن عمرو عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من اتقى الله دخل الجنة ينعم فيها ولا يبأس ، ويمجا فيها فلا يموت ، لا تبلى ثيابه ، ولا يفنى شبابه » .

وقال أبو القاسم الطبراني : حدثنا أحمد بن يحيى ، حدثنا عمرو بن محمد الناقد ، حدثنا سليم بن عبد الله الرقي ، حدثنا مصعب بن إبراهيم ، حدثنا عمران بن الربيع الكوفي عن يحيى بن سعيد الأنصاري عن محمد بن المنكدر عن جابر رضي الله عنه قال : سئل نبي الله ﷺ : أينام أهل الجنة ؟ فقال ﷺ « النوم أخو الموت وأهل الجنة لا ينامون » وهكذا رواه أبو بكر بن مردويه في تفسيره ، حدثنا أحمد بن القاسم بن صدقة المصري ، حدثنا المقدم بن داود ، حدثنا عبد الله بن المغيرة ، حدثنا سفيان الثوري عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « النوم أخو الموت وأهل الجنة لا ينامون » ، وقال أبو بكر البزار في مسنده : حدثنا الفضل بن يعقوب ، حدثنا محمد بن يوسف الفريابي عن سفيان بن محمد بن المنكدر عن جابر رضي الله عنه قال : قيل يا رسول الله : هل ينام أهل الجنة ؟ قال ﷺ « لا ، النوم أخو الموت » ثم قال : لا نعلم أحداً أسنده عن ابن المنكدر عن جابر رضي الله عنه إلا الثوري ولا عن الثوري إلا الفريابي ، هكذا قال ، وقد تقدم خلاف ذلك ، والله أعلم .

وقوله تعالى : ﴿ ووقاهم عذاب الجحيم ﴾ أي مع هذا النعيم العظيم المقيم قد وقاهم وسلمهم ونجاهم وزحزحهم عن العذاب الأليم في دركات الجحيم ، فحصل لهم المطلوب ونجاهم من المهوب ولهذا قال عز وجل : ﴿ فضلاً من ربك ذلك هو الفوز العظيم ﴾ أي إنما كان هذا بفضلهم عليهم وإحسانه إليهم كما ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال « اعملوا وسددوا وقاربوا واعلموا أن أحداً لن يدخله عمله الجنة قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال ﷺ « ولا أنا إلا أن يتخمدني الله برحمة منه وفضل » ، وقوله تعالى : ﴿ فإنما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون ﴾ أي إنما يسرنا هذا القرآن الذي أنزلناه سهلاً واضحاً بيناً جلياً بلسانك الذي هو أفصح اللغات وأجلها وأعلاها ﴿ لعلهم يتذكرون ﴾ أي يتفهمون ويعلمون .

ثم لما كان مع هذا الوضوح والبيان من الناس من كفر وخالف وعاند قال الله تعالى لرسوله ﷺ مسلماً له وواعداً له بالنصر . ومتوعداً لمن كذبه بالعطب والهلاك ﴿ فارتقب ﴾ أي انتظر ﴿ إنهم مرتقبون ﴾ أي فيعلمون لمن تكون النصر والظفر . علو الكلمة في الدنيا والآخرة ، فإنها لك يا محمد وإخوانك من النبيين والمرسلين ومن اتبعكم من المؤمنين كما قال تعالى : ﴿ كتب الله لأغلبن أنا ورسلي ﴾ الآية . وقال تعالى : ﴿ إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ﴾ يوم لا يفتع الظالمين معذرتهم وهم اللعنة وهم سوء الدار ﴿ .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمَّ ﴿١﴾ نَزَّلَ الْكِتَابَ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبْتُغُونَ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَأَخْلَفَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفَ الرِّيحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ

يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾

يرشد تعالى خلقه إلى التفكير في آلائه ونعمه ، وقدرته العظيمة التي خلق بها السموات والأرض ، وما فيها من المخلوقات المختلفة الأجناس ، والأنواع من الملائكة والجن والانس والدواب والطيور والوحوش والسباع والحشرات ، وما في البحر من الأصناف المتنوعة واختلاف الليل والنهار في تعاقبها دائبين لا يفران ، هذا بظلامه وهذا بضائه ، وما أنزل الله تبارك وتعالى من السحاب من المطر في وقت الحاجة إليه ، وسماه رزقاً لأن به يحصل الرزق ﴿فأحيا به الأرض بعد موتها﴾ أي بعد ما كانت هامدة لا نبات فيها ولا شيء . وقوله عز وجل : ﴿وتصريف الرياح﴾ أي جنوباً وشمالاً ودبوراً وصبا ، برية وبحرية ، ليلية ونهارية . ومنها ما هو للمطر ، ومنها ما هو للفقاح ، ومنها ما هو غذاء للأرواح ومنها ما هو عقيم لا ينتج ، وقال سبحانه وتعالى : أولاً : ﴿آيات للمؤمنين﴾ ثم يوقنون ثم يعقلون وهو ترق من حال شريف إلى ما هو أشرف منه وأعل ، وهذه الآيات شبيهة بآية البقرة وهي قوله تعالى : ﴿إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس ، وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ، وبث فيها من كل دابة ، وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض آيات لقوم يعقلون﴾ وقد أورد ابن أبي حاتم ههنا عن وهب بن منبه أثراً طويلاً غريباً في خلق الإنسان من الأخلط الأربعة ، والله أعلم .

تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَنْتَلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَيَلِ كُلَّ افَّاكٍ أَثِيمٌ ﴿٧﴾ سَمِعَ آيَاتُ اللَّهِ تَنْتَلِي عَلَيْهِ ثُمَّ بَصُرُ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٩﴾ مَن وَّرَاهُمْ جَهَنَّمَ وَلَا يَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا ابْتَدَتْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّحْمَةِ الْبُدِّ ﴿١١﴾

يقول تعالى : ﴿تلك آيات الله﴾ يعني القرآن بما فيه من الحجج والبيات ﴿تنتلونها عليكم بالحق﴾ أي متضمنة الحق من الحق ، فإذا كانوا لا يؤمنون بها ولا يتقادون لها فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون ؟ ثم قال تعالى : ﴿ويل لكل افَّاك أثيم﴾ أي افَّاك في قوله كذاب حلاف مهين أثيم في فعله وقلبه كافر بآيات الله ولهذا قال : ﴿يسمع آيات الله تنل عليه﴾ أي تقرأ عليه ﴿ثم يصر﴾ أي عل كفره وجحوده استكباراً وعناداً ﴿كأن لم يسمعها﴾ أي كأنه ما سمعها ﴿فبشره بعذاب أليم﴾ أي فأخبره أن له عند الله تعالى يوم القيامة عذاباً أليماً موجعاً ﴿وإذا علم من آياتنا شيئاً اتخذها هزواً﴾ أي إذا حفظ شيئاً من القرآن كفر به واتخذها سخرياً وهزواً ﴿أولئك لهم عذاب مهين﴾ أي في مقابلة ما استهان بالقرآن واستهزأ به ، ولهذا روى مسلم في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : نهى رسول الله ﷺ أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو مخافة أن يناله العدو . ثم فسر العذاب الحاصل له يوم معاده فقال ﴿من ورائهم جهنم﴾ أي كل من اتصف بذلك سيصرون إلى جهنم يوم القيامة ﴿ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئاً﴾ أي لا تنفعهم أموالهم ولا أولادهم ﴿ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء﴾ أي ولا تنغي عنهم الألهة التي عبدوها من دون الله شيئاً ﴿ولهم عذاب عظيم﴾ ثم قال تبارك وتعالى : ﴿هذا هدى﴾ يعني القرآن

﴿والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز اليم﴾ وهو المؤلم الموجه ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفَلَكَ فِيهِ بِأَمْرِهِ . وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ . وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٦﴾ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَاءَ السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِمَّا إِنْ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ يَجْرِي قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٨﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ . وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلِيَهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٩﴾﴾

يذكر تعالى نعمه على عبده فيما سخر لهم من البحر ﴿لتجري الفلك﴾ وهي السفن فيه بأمره تعالى ، فإنه هو الذي أمر البحر بحملها ﴿ولتبتغوا من فضله﴾ أي في المتاجر والمكاسب ﴿ولعلمكم تشكرون﴾ أي على حصول المنافع المطلوبة من الأقاليم النائية والأفاق القاصية ، ثم قال عز وجل : ﴿وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض﴾ أي من الكواكب والجبال والبحار والأنهار ، وجميع ما تتصفون به أي الجميع من فضله وإحسانه وامتنانه ولهذا قال ﴿جميعاً منه﴾ أي من عنده وحده لا شريك له في ذلك ، كما قال تبارك وتعالى : ﴿وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون﴾ وروى ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : ﴿وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه﴾ كل شيء هو من الله . وذلك الاسم فيه اسم من أسمائه ، فذلك جميعاً منه ولا ينازعه فيه المنازعون ، واستيقن أنه كذلك . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن خلف العسقلاني ، حدثنا الفريابي عن سفيان عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن أبي أراكة قال : سألت رجل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : مم خلق الخلق ؟ قال : من النور والنار والظلمة والثرى . قال : واثت ابن عباس رضي الله عنهما فأسأله ، فأثاه فقال له مثل ذلك ، فقال : أرجع إليه فسله مم خلق ذلك كله . فرجع إليه فسأله فتلا ﴿وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه﴾ هذا أثر غريب وفيه نكارة ﴿إن في ذلك لآيات لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله﴾ أي ليصفحوا عنهم ويتحملون الأذى منهم وكان هذا في ابتداء الإسلام ، أمروا أن يصبروا على أذى المشركين وأهل الكتاب ليكون ذلك كالتأليف لهم ، ثم لما أصرروا على العناد شرع الله للمؤمنين الجهاد والجهاد . هكذا روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة ، وقال مجاهد : ﴿لا يرجون أيام الله﴾ لا يتألون نعم الله تعالى ، وقوله تبارك وتعالى : ﴿ليجزى قوماً بما كانوا يكسبون﴾ أي إذا صفحوا عنهم في الدنيا فإن الله عز وجل يجازيهم بأعمالهم السيئة في الآخرة ، ولهذا قال تعالى : ﴿من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها ثم إلى ربكم ترجعون﴾ أي تعودون إليه يوم القيامة فتعرضون بأعمالكم عليه فيجزىكم بأعمالكم خيراً وشرها ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ

﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَاهُمْ بَيْنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعْضًا مِنْهُمْ إِنْ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيحَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَبَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ

﴿١٩﴾ هَذَا بَصِيرَةٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾

يذكر تعالى ما أنعم به على بني إسرائيل من إنزال الكتاب عليهم وإرسال الرسل إليهم وجعله الملك فيهم ، ولهذا قال تبارك وتعالى : ﴿ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات﴾ أي من المأكول والمشرب

﴿وفضلناهم على العالمين﴾ أي في زمانهم ﴿وآتيناهم بينات من الأمر﴾ أي حججاً وبراهين وأدلة قاطعات ، فقامت عليهم الحجج ثم اختلفوا بعد ذلك من بعد قيام الحجة ، وإنما كان ذلك بغياً منهم على بعضهم بعضاً ﴿إن ربك﴾ يا محمد ﴿يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ أي سيفصل بينهم بحكمه العدل ، وهذا فيه تحذير لهذه الأمة أن تسلك مسلكهم وأن تقصد منهجهم ، ولهذا قال جل وعلا : ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها﴾ أي اتبع ما أوحى إليك من ربك لا إله إلا هو وأعرض عن المشركين ، وقال جل جلاله ههنا : ﴿ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون﴾ إنهم لن يغتوا عنك من الله شيئاً وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض﴾ أي وماذا تغني عنهم ولايتهم لبعضهم بعضاً فإنهم لا يزيدونهم إلا خساراً ودماراً وهلاكاً ﴿والله ولي المتقين﴾ وهو تعالى يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات ، ثم قال عز وجل ﴿هذا بصائر للناس﴾ يعني القرآن ﴿وهدى ورحمة لقوم يوقنون﴾ .

مُحَسِّبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ جَعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤٥﴾ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوْنَهُ وَأُضْلَهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ ، وَقَلْبِهِ ، وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٧﴾

يقول تعالى : ﴿لا يستوي المؤمنون والكاफرون﴾ كما قال عز وجل : ﴿لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون﴾ وقال تبارك وتعالى : ﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات﴾ أي عملوها وكسبوها ﴿أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم؟﴾ أي نساوهم بهم في الدنيا والآخرة ﴿سواء ما يحكمون﴾ أي سواء ما ظنونا بنا وبعدلنا أن نساوي بين الأبرار والفجار في الدار الآخرة وفي هذه الدار . قال الحافظ أبو يعلى : حدثنا مؤمل بن إهاب ، حدثنا بكير بن عثمان التنوخي ، حدثنا الوضين بن عطاء عن يزيد بن مرثد الباجي عن أبي ذر رضي الله عنه قال : إن الله تعالى بنى دينه على أربعة أركان ، فمن صبر عليهن ولم يعمل بهن لقي الله من الفاسقين ، قيل : وما هن يا أبا ذر؟ قال يسلم حلال الله لله وحرام الله لله وأمر الله لله ونهي الله لله لا يؤمن عليهن إلا الله .

قال أبو القاسم رحمته : ﴿كما أنه لا يجئني من الشوك العنب كذلك لا ينال الفجار منازل الأبرار﴾ . هذا حديث غريب من هذا الوجه ، وقد ذكر محمد بن إسحاق في كتاب السيرة أنهم وجدوا حجراً بمكة في أس الكعبة مكتوب عليه : تعملون السيئات وترجون الحسنات أجل كما يجئني من الشوك العنب . وقد روى الطبراني من حديث شعبة عن عمر بن مرة عن أبي الضحى عن مسروق أن تميم الداري قام ليلة حتى أصبح يردد هذه الآية ﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ ولهذا قال تعالى : ﴿سواء ما يحكمون﴾ وقال عز وجل : ﴿وخلق الله السموات والأرض بالحق﴾ أي بالعدل ﴿ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون﴾ .

ثم قال جل وعلا : ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه﴾ أي إنما يأتمر بهواه ، فما رآه حسناً فعله وما رآه قبيحاً تركه ، وهذا قد يستدل به على المعتزلة في قوهم بالتحسين والتقيح العقلين ، وعن مالك فيما روي عنه من التفسير لا يهوى شيئاً إلا عبده . وقوله ﴿وأضله الله على علم﴾ يحتمل قولين : أحدهما وأضله الله لعلمه أنه يستحق ذلك ، والآخر وأضله الله بعد بلوغ العلم إليه وقيام الحجة عليه . والثاني يستلزم الأول ولا ينعكس ﴿وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة﴾ أي فلا يسمع ما ينفعه ولا يعي شيئاً يهتدي به ولا يرى حجة يستضيء بها . ولهذا قال تعالى : ﴿فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون﴾ كقوله تعالى : ﴿من يضل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون﴾ .

وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٤٨﴾ وَإِذَا نُنزلُ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا يَنْسَوْنَ مَا كَانُوا يَحْجَتُّونَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا أَتُورَاثًا يَابَسًا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٥٠﴾ قُلْ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْعَلُكُمْ لِرَبِّهِمْ آيَاتٍ

فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٧﴾

يخبر تعالى عن قول الدهرية من الكفار ومن وافقهم من مشركي العرب في انكار المعاد ﴿وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا﴾ اي ما ثم الا هذه الدار ، يموت قوم ويعيش آخرون ، وما ثم معاد ولا قيامة ، وهذا يقوله مشركو العرب المنكرون المعاد ، وتقوله الفلاسفة الإلهيون منهم ، وهم ينكرون البدأة والرجعة ، وتقوله الفلاسفة الدهرية الدرية المنكرون للصانع ، المعتقدون ان في كل ستة وثلاثين الف سنة يعود كل شيء إلى ما كان عليه ، وزعموا ان هذا قد تكرر مرات لا تتناهي ، فكابروا العقول وكذبوا المنقول ولهذا قالوا ﴿وما يهلكنا إلا الدهر﴾ قال الله تعالى : ﴿وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون﴾ أي يتوهمون ويتخيلون فأما الحديث الذي أخرجه صاحبنا الصحيح وأبو داود والنسائي من رواية سفيان بن عيينة عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «يقول تعالى يؤذني ابن آدم ، يسب الدهر وأنا الدهر ، بيدي الأمر أقلب ليله ونهاره» وفي رواية «لا تسبوا الدهر فان الله تعالى هو الدهر» وقد أورده ابن جرير بسياق غريب جدا فقال : حدثنا أبو كريب ، حدثنا سفيان بن عتيبة عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال «كان أهل الجاهلية يقولون إنما يهلكنا الليل والنهار وهو الذي يهلكنا ميتنا ويميتنا فقال الله تعالى في كتابه : ﴿وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر﴾ ويسبون الدهر فقال الله عز وجل : يؤذني ابن آدم ، يسب الدهر وأنا الدهر ، بيدي الأمر أقلب الليل والنهار» وكذا رواه ابن أبي حاتم عن أحمد بن منصور عن شريح بن النعمان عن ابن عيينة مثله . ثم روي عن يونس عن ابن وهب عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «قال الله تعالى : يسب ابن آدم الدهر وأنا الدهر بيدي الليل والنهار» وأخرجه صاحبنا الصحيح والنسائي من حديث يونس بن يزيد به . وقال محمد بن إسحاق عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «يقول الله تعالى : استقرضت عبدي فلم يعطني وسبني عبدي ، يقول وادهره وأنا الدهر» قال الشافعي وأبو عبيدة وغيرهما من الأئمة في تفسير قوله ﷺ «لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر» كانت العرب في جاهليتها إذا أصابهم شدة أو بلاء أو نكبة قالوا يا خيبة الدهر ، فيسندون تلك الافعال إلى الدهر ويسبونه ، وإنما فاعلها هو الله تعالى سكانهم إنما سبوا الله عز وجل ، لأنه فاعل ذلك في الحقيقة ، فلهذا نهى عن سب الدهر بهذا الاعتبار ، لان الله تعالى هو الدهر الذي يعنونه ويسندون اليه تلك الافعال ، هذا أحسن ما قيل في تفسيره وهو المراد ، والله أعلم ، وقد غلط ابن حزم ومن نحا نحوه من الظاهري في عدوم الدهر من الأسماء الحسنی أخذوا من هذا الحديث .

وقوله تعالى : ﴿وإذا تلى عليهم آياتنا بينات﴾ أي إذا استدلل عليهم وبين لهم الحق ، وأن الله تعالى قادر على إعادة الأبدان بعد فنائها وتفرقها ﴿ما كان حجتهم إلا أن قالوا آتوا بآياتنا إن كنتم صادقين﴾ أي أحيوهم إن كان ما تقولونه حقاً . قال الله تعالى : ﴿قل الله يحييكم ثم يميتكم﴾ أي كما تشاهدون ذلك يخرجكم من العدم إلى الوجود ﴿كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم؟﴾ أي الذي قدر على البدأة قادر على الاعادة بطريق الأولى والأخرى ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه﴾ ﴿ثم يجمعكم الى يوم القيامة لا ريب فيه﴾ أي إنما يجمعكم إلى يوم القيامة لا يعيدكم في الدنيا حتى تقوياً ﴿آتوا بآياتنا إن كنتم صادقين﴾ ﴿يوم يجمعكم ليوم الجمع﴾ ﴿لأي يوم اجلت ليوم الفصل وما تؤخره إلا لأجل معدود﴾ وقال ههنا ﴿ثم يجمعكم الى يوم القيامة لا ريب فيه﴾ أي لا شك فيه ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ أي فلهذا ينكرون المعاد ويستبعدون قيام الأجساد قال الله تعالى : ﴿إنهم يرونه بعيداً ونراه قريباً﴾ أي يرون وقوعه بعيداً والمؤمنون يرون ذلك سهلاً قريباً .

وَلِيَهُمُ الْمُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِدُ يُخَسِرُ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧﴾ وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِعَةٍ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُحْزَرُونَ

مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ هَذَا كِتَابُنَا أَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنْ كُنَّا نَسْتَنْبِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾

يخبر تعالى أنه مالك السموات والأرض والحاكم فيها في الدنيا والآخرة ، ولهذا قال عز وجل ﴿يوم تقوم الساعة﴾ أي يوم القيامة ﴿يخسر المبطلون﴾ وهم الكافرون بالله الجاحدون بما أنزله على رسله من الآيات البينات والدلائل الواضحات .

وقال ابن أبي حاتم : قدم سفيان الثوري المدينة فسمع المعافري يتكلم ببعض ما يضحك به الناس ، فقال له : يا شيخ أما علمت أن الله تعالى يوماً يحسر فيه المبطون ؟ قال : فما زالت تعرف في المعافري حتى لحق بالله تعالى ، ذكره ابن أبي حاتم ثم قال تعالى : ﴿وترى كل أمة جاثية﴾ أي على ركبها من الشدة والعظمة ، ويقال إن هذا إذا جيء بهنم فانها تزفر زفرة ، لا يبقى أحد إلا جثا لركبتيه ، حتى إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ويقول : نفسي نفسي نفسي ! لا أسألك اليوم إلا نفسي . وحتى إن عيسى عليه الصلاة والسلام ليقول : لا أسألك إلا نفسي لا أسألك مريم التي ولدني ! قال مجاهد وكعب الأخبار والحسن البصري ﴿كل أمة جاثية﴾ أي على الركب . وقال عكرمة : جاثية متميزة على ناحيتها وليس على الركب ، والأول أولى . قال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ ، حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن عبد الله بن باباه أن رسول الله ﷺ قال «كأنى أراكم جاثين بالكوم دون جهنم» وقال إسماعيل بن أبي رافع المدني عن محمد بن كعب عن أبي هريرة رضي الله عنه ، مرفوعاً في حديث الصور : فيتميز الناس وتحمو الأمم ، وهي التي يقول الله تعالى : ﴿وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى الى كتابها﴾ وهذا فيه جمع بين القولين ولا منافاة ، والله أعلم .

وقوله عز وجل ﴿كل أمة تدعى الى كتابها﴾ يعني كتاب أعمالها كقوله جل جلاله ﴿ووضع الكتاب وحجء بالبين والشهداء﴾ ولهذا قال سبحانه وتعالى : ﴿اليوم تحزون ما كنتم تعملون﴾ أي تجازون بأعمالكم خيرها وشرها كقوله عز وجل ﴿ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر﴾ بل الإنسان على نفسه بصيره * ولو ألقى معاذيره ﴿ولهذا قال جل جلالته ﴿ووضع الكتاب فترى كتابنا ينطق عليكم بالحق﴾ أي يستحضر جميع أعمالكم من غير زيادة ولا نقص كقوله جل جلاله ﴿ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ، ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً﴾ وقوله عز وجل ﴿إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون﴾ أي إنا كنا نأمر الحفظة أن تكتب أعمالكم عليكم . قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره : تكتب الملائكة أعمال العباد ثم تصعد بها إلى السماء ، فيقابلون الملائكة الذين في ديوان الأعمال على ما بأيدي الكتبة ، مما قد أبرز لهم من اللوح المحفوظ في كل ليلة قدر ، مما كتبه الله في القدم على العباد قبل أن يخلقهم فلا يزيد حرفاً ولا ينقص حرفاً ثم قرأ ﴿إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون﴾ .

فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿٣٦﴾ وَأَمَّا

الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتلى عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَإِذْ قِيلَ لَنْ وَاللَّهِ إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَمَا ظَنُّكُمْ

مَا زُرِّي مَا السَّاعَةُ إِنْ نُنظَنُ إِلَّا نُنظَنُ وَأَمَّا نَحْنُ مُّسْتَقِيمِينَ ﴿٣٨﴾ وَبَدَأَهُم مُّسِيئَةً مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٩﴾

وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسِفُكُمْ كَأَنِّي نَسِيتُ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ ﴿٤٠﴾ لَكُمْ بِأَنكُمُ اعْتَدْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُرُوعًا وَغَرَضَةً

الْحَبْرَةَ الَّتِي كَانَتْ آيَاتِ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمْ النَّارُ وَاللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٤١﴾

الْكِبْرِيَاءِ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾

بخبر تعالى عن حكمه في خلقه يوم القيامة فقال تعالى : ﴿فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ أي آمنت قلوبهم وعملت جوارحهم الأعمال الصالحة وهي الخالصة الموافقة للشرع ﴿فيدخلهم ربهم في رحمته﴾ وهي الجنة كما ثبت في الصحيح أن الله تعالى قال للجنة : أنت رحمتي أرحم بك من أشياء ﴿ذلك هو الفوز المبين﴾ أي البين الواضح . ثم قال تعالى : ﴿وأما الذين كفروا أفلم تكن آياتي تتلى عليكم فاستكبرتم وكنتم قوماً مجرمين﴾ أي يقال لهم ذلك تقريباً وتوبيخاً ، أما قرئت عليكم آيات الله تعالى فاستكبرتم عن اتباعها ، وأعرضتم عن سماعها ، وكنتم قوماً مجرمين في أفعالكم مع ما اشمتمت عليه قلوبكم من التكذيب ؟ ﴿وإذا قيل إن وعد الله حق والساعة لا ريب فيها﴾ أي إذ قال لكم المؤمنون ذلك ﴿قلتم ما ندرى ما الساعة﴾ أي لانعرفها ﴿إن نظن إلا ظناً﴾ أي إن توهم وقوعها إلا توها أي مرجوحاً ولهذا قال ﴿وما نحن بمستيقنين﴾ أي بمتحققين . قال الله تعالى : ﴿وبدا لهم سيئات ما عملوا﴾ أي وظهر لهم عقوبة أعمالهم السيئة ﴿وحاق بهم﴾ أي أحاط بهم ﴿ما كانوا به يستهزئون﴾ أي من العذاب والنكال ﴿وقيل اليوم ننساكم﴾ أي تعاملكم معاملة الناسي لكم في نار جهنم ﴿كما نسيت لقاء يومكم هذا﴾ أي فلم تعملوا له لأنكم لم تصدقوا به ﴿وما أوامكم النار وما لكم من ناصرين﴾ . وقد ثبت في

الصحيح أن الله تعالى يقول لبعض العبيد يوم القيامة « ألم أزوجك ؟ ألم أكرمك ؟ ألم أسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع ؟ فيقول : بلى يا رب . فيقول أظننت أنك ملاقي ؟ فيقول : لا . فيقول الله تعالى : فاليوم أنساك كما نسيتي » .

قال الله تعالى : ﴿ ذلکم بأنکم اتخذتم آيات الله هزوا ﴾ أي إنما جازيناكم هذا الجزاء لأنكم اتخذتم حجج الله عليكم سخريا تسخرون وتستهزئون بها ﴿ وغرتکم الحياة الدنيا ﴾ أي خدعتكم فاطمأنتم إليها فأصبحت من الخاسرين ، ولهذا قال عز وجل ﴿ فاليوم لا يخرجون منها ﴾ أي من النار ﴿ ولا هم يستعتبون ﴾ أي لا يطلب منهم العتبي بل يعذبون بغير حساب ولا عتاب كما تدخل طائفة من المؤمنين الجنة بغير عذاب ولا حساب ثم لما ذكر تعالى حكمه في المؤمنين والكافرين ، قال ﴿ فله الحمد رب السموات ورب الأرض ﴾ أي المالك لها وما فيها ، ولهذا قال ﴿ رب العالمين ﴾ ثم قال جل وعلا ﴿ وله الكبرياء في السموات والأرض ﴾ قال مجاهد : يعني السلطان أي هو العظيم المجد الذي كل شيء خاضع لديه فقير إليه . وقد ورد في الحديث الصحيح « يقول الله تعالى : العظمة إزاري ، والكبرياء رداي فمن نازعني واحدا منها أسكنته ناري » ورواه مسلم من حديث الأعمش عن أبي إسحاق عن الأغر أبي مسلم ، عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما ، عن رسول الله ﷺ بنحوه . وقوله تعالى : ﴿ وهو العزيز ﴾ أي الذي لا يغالب ولا يمانع ﴿ الحكيم ﴾ في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره تعالى وتقدس لا إله إلا هو .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمِّ ﴿١﴾ تَنْزِيلِ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتَقُولُ يَكْتُمُ مِنْ قِبَلِ هَذَا أَوْ أُنزِرَ مِنْ عَلِيمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَيْسَ سَمِيحًا لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذْ أَخْبَرْنَا النَّاسَ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾

نخبر تعالى أنه أنزل الكتاب على عبده ورسوله محمد ﷺ ، صلوات الله وسلامه عليه دائما الى يوم الدين ، ووصف نفسه بالعزة التي لا ترام ، والحكمة في الأقوال والأفعال ، ثم قال تعالى : ﴿ ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وإلا بالحق ﴾ أي لا على وجه العبث والباطل ﴿ وأجل مسمى ﴾ أي والى مدة معينة مضرورية لا تزيد ولا تنقص ، وقوله تعالى : ﴿ والذين كفروا عما أُنذروا معرضون ﴾ أي لاهون عما يراد بهم ، وقد أنزل الله تعالى اليهم كتاباً وأرسل اليهم رسولا ، وهم معرضون عن ذلك كله اي وسيعلمون غب ذلك . ثم قال تعالى : ﴿ قل ﴾ أي هؤلاء المشركين العابدين مع الله غيره ﴿ أرايتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض ﴾ أي أرشدوني الى المكان الذي استقلوا بخلقه من الأرض ﴿ أم لهم شرك في السموات ﴾ ؟ أي ولاشرك لهم في السموات ولا في الأرض وما يملكون من قطير ، إن الملك والتصرف كله إلا لله عز وجل ، فكيف تعبدون معه غيره وتشركون به ؟ من أرشدكم الى هذا ؟ من دعاكم اليه ؟ أهو أمركم به ؟ أم هو شيء اقترحتموه من عند انفسكم ؟ ولهذا قال ﴿ اتقوني بكتاب من قبل هذا ﴾ اي هاتوا كتاباً من كتب الله المنزلة على الانبياء عليهم الصلاة والسلام ، يأمركم بعبادة هذه الأصنام ﴿ أو اثاره من علم ﴾ اي دليل بين على هذا المسلك الذي سلكتموه ﴿ إن كنتم صادقين ﴾ أي لا دليل لكم لانقلياً ولا عقلياً على ذلك ، ولهذا قرأ آخرون : أو اثرة من علم اي او علم صحيح تؤثره عن أحد من قبلكم ، كما قال مجاهد في قوله تعالى : ﴿ أو اثاره من علم ﴾ أو أحد ياتر علما ، وقال العوفي عن ابن عباس رضي